لغة القرآن وهوية الأمة في مواجهة تحديات العولمة

أ. م. د. روناك توفيق النورسي و أ. م. د. جنان محمد مهدي العقيدي
قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العراق.

(تاريخ القبول بالنشر: 21 أيار 2014)

ملخص البحث:

تمتاز اللغة بأنها أهم وسيلة للتواصل الاجتماعي وهدفها الأساس هو التعبير عن الأفكار والرغبات والعواطف في منظومة المجموعة البشرية التي تتكلم بها، ويتم بوساطتها التواصل وتناقل المعلومات والقيم والمبادئ والخبرات والرموز والمعتقدات ، وتعدّ اللغة مرآة الأمم وانعكاساً لحضارتها وثقافتها ، وهي في الوقت نفسه مقوم هام من مقومات الهوية الإسلامية التي امتاز بها المسلمون من غيرهم من الأمم ذات الحضارات والثقافات المختلفة ودليل وعيهم بذاتهم الذي بدأ بالتشكل بوقت ليس بالقصير وقد عبروا عن ذلك في شعرهم ونثرهم .

وتتعرض العربية اليوم بوصفها لغة القرآن الكريم لهجمات وأخطار داخلية وخارجية تحاول تغيير ملامحها واستبدالها بشبح مختلق يطوف العالم بحثاً عن هوية له وزي يستر جسده العاري بعد تجرده عن زينته التي كان يتفاخر ويسود بها ، وتكمن الإشكالية في تقبل أبنائها لمثل هذا التهديد بحجة التقدم ومواكبة العصر .

ولعل محاولة هذا البحث ليست إلا لبنة لتأسيس ما يحفظ للعربية مكانتها ويبين الثراء الفكري والوجه الناصع لها الذي حفظت به الهوية العربية الأسلامية منذ قرون عديدة ، وكشفاً لزيف الثوب القشيب الذي تحاول فرضه بضاعة مزجاة ثقافات تحمل فكراً يحاول هدم بناء أقامت صرحه لغة تمتلك من الأصالة والعمق مما لم تنافسها فيه لغة أخرى .

المقدمة

تعد اللغة أهم وسائل التواصل والتفاهم بين البشر، ووسيلة الفكر الراقي التي تتجاوز مهمتها في التواصل وقضاء الحاجات إلى مرحلة بناء الأفراد والجماعات وتشييد العلوم والحضارات، وقد نجحت اللغة العربية بنقل الإرث الحضاري للأمة بفضل مكانتها السامية وعلو شأنها لتشرفها بحمل آخر الرسالات السماوية إلى الأرض بلسان عربي مبين .

لقد كان للعربية فضل تشكيل هوية الأمة الإسلامية، وصونها كما أنها ساهمت في التفتح على الثقافات السابقة والمعاصرة حتى فتحت الباب أمام كل الأجناس والأعراق لتنال شرف الانتماء إلى العربية، فأضحت بذلك هوية عالمية يتسابق لها من يدرك عظمتها وأهميتها الذي يحفظ كيان الفرد والمجتمع.

إن العربية اليوم تتعرض لهجمات وأخطار داخلية وخارجية تحاول تغيير ملامحها واستبدالها بشبح مختلق يطوف العالم بحثاً عن هوية له وزيّاً يستر جسده العاري بعد تجرده عن زينته التي كان يتفاخر ويسود بها، وتكمن الإشكالية في تقبل أبنائها لمثل هذا التهديد بحجة التقدم ومواكبة العصر.

ولعل محاولة هذا البحث ليست إلا لبنة لتأسيس ما يحفظ للعربية مكانتها، ويبيّن الثراء الفكري والوجه الناصع لها الذي حفظت به الهوية العربية منذ قرون عديدة، وكشفاً لزيف الثوب القشيب الذي تحاول فرضه بضاعة مزجاة ثقافات تحمل فكراً يحاول هدم بناء أقامت صرحه لغة تمتلك من الأصالة والعمق مما لم تنافسها فيه لغة أخرى.

وقد قسم البحث على خمسة محاور توزعت على النحو الآتي:

- المحور الأول : **اللغة العربية الدلالات والخصائص**
- المحور الثاني : **الهوية المفاهيم والمقومات**
- المحور الثالث : **اللغة والهوية**
- المحور الرابع : **العولمة ملمح للنظام العالمي الجديد وخطر على الهوية الإسلامية**
- المحور الخامس : **العربية وتحديات العولمة**

وختم البحث بخاتمة موجزة لأهم النتائج التي توصل إليها .

المحور الأول : اللغة العربية الدلالات والخصائص

تعد اللغة خاصية إنسانية لا يشترك فيها غير الإنسان دون غيره من الكائنات الحية.. وقد ذكرت المعجمات العربية الجذر اللغوي لكلمة لغة وهو (لغو) أو (لغي)[١] الذي تدور معانيه حول الرمي والطرح والإلقاء تقول : لغوت بكذا إذا لفظت به وتكلمت، وإذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستغلهم فاستنطقهم[٢].

وهي على وزن فعلة من الفعل لغوت، أي تكلمت وأصل لغة لغوة، فحُذفت واوها، وجمعت على وزن لغات، ولغون، واللغو النطق، يقال: هذه لغتهم يلغون ينطقون.[٣] ولم تستعمل مادة (لغو) بالمعنى الذي أخذنا منها كلمة (لغة) في القرآن الكريم، وإنما ورد بدلاً عنها لفظ اللسان ومشتقاته مفردا وجمعا، قال عز وجل: ((بلسان عربي مبين))[٤] وقال تعالى: ((وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا))[٥] وقوله تعالى: ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه))[٦] وقوله تعالى : ((لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين))[٧].

وهذه السياقات التي وردت في القرآن الكريم لا تبعد مادة (لسن) عن (اللغة) كما يقول الزمخشري: ((لكل قوم لسن: لغة، ولسان العرب أفصح لسان))[٨].. ويذكر المناوي أنهم ، قالوا : هي ما جرى على لسان كل قوم أو الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل[٩]، في حين عرف ابن جني اللغة : ((بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[١٠]، ومما جاء في لسان العرب تحت مادة (لَسَنَ) اللسان جارحة الكلام .. وعن ابن سيده اللسان المقول يذكر ويؤنث ، والجمع ألسنة وألسن واللسان بلاغ الرسالة وألسن عنه ابَلغ ..ولَسنَهُ كلمه.. واللَسْنُ الفصاحة .[١١]

وعن أهمية اللسان العربي يرى ابن تيمية: ((أن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي ، وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به ولم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان صارت معرفته من الدين وأقرب إلى إقامة شعائر الدين))[١٢].

وتستمد اللغة العربية قيمتها من كونها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فضلا عن أنها الوعاء الذي يجمع تراث الأمة العربية الفكري والحضاري ... فللقرآن الكريم تأثير كبير في اجتماع العرب على اللغة العربية إذ يكون به ((إقامة أدائها على الوجه الذي نطق العرب، وتيسير ذلك لأن أهلها في كل عصر وإن ضعفت الأصول، واضطربت الفروع بحيث لولا هذا الكتاب الكريم لما وجد على الأرض أسود ولا أحمر يعرف اليوم ولا قبل اليوم كيف كانت تنطق العرب بألسنتها ، وكيف تقيم أحرفها وتخرج مخارجها)).[١٣]

إن اللغة العربية التي اصطفاها الله تعالى له عندما كرّمها فأنزل كتابه الكريم بها على رجل من أهلها وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكانت لغة القرآن الكريم ، وكرّمها سبحانه تعالى إذ حفظها بحفظ الكتاب الكريم وكفل لها الخلود ووعده جل ذكره لا يتخلف، قال تعالى : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[١٤] ...وكانت بعد ذلك الأثر الذي لا يعدله أثر آخر من آثار القران الكريم فقد أمسك عليها خصائص سِمْتِها الأصيل ، وكفل لها الخلود على مرّ الأيام صالحة نقية ، فهذه مفرداتها مجودة الأداء مضبوطة المخارج والأصوات لم يصبها مسخ ولا شابها انحراف وهذه مناهجها في الصياغة وطرائقها في التعبير لم تزل بفضله على عهد الأولين بها.

واللغة العربية هي إحدى اللغات العالمية الخمسة ، وتتجلى عظمتها أنها لغة القرآن الكريم التي قال فيها : ((إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))[١٥].. وهي حاملة الرسالة السماوية ومبلغة الوحي الإلهي معجزته الخالدة وإعجازه الأزلي، قال تعالى: ((كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون))[١٦]، وبهذا كانت مثالاً فريداً ونسيجاً متميزاً في الإعجاز اللغوي بوعاء أمثل في الصياغة اللغوية والقوالب التعبيرية العالية .

ولما كان القرآن الكريم سر بقاء اللغة العربية وخلودها رأينا ابن فارس يعقد باباً في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم أسماه (العرب أفضل اللغات وأوسعها) مشيرا إلى قوله تعالى : ((لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين))[١٧] قال : ((فلما خص جل ثناؤه اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه ، وواقعة دونه))[١٨] كذلك

يدعو إلى العناية بعلومها لأن فهم القرآن الكريم وتنزيل الأحكام منازلها لا يتم إلا بها، قال: ((العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا عناء بأحد منهم عنها وذلك ؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربي من أراد معرفة ما في كتاب الله عز وجل وما في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من كل كلم غريب أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بُدّاً))[١٩]، كذلك يرى الرافعي أن أصل خلود العربية من القرآن الكريم ، فنراه يقول: ((إن هذه العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم ، وقد أجمع الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحته إلا من لا حفل به من زنديق يتجاهل، أو جاهل يتزندق))[٢٠] ، كما يرى الرافعي في سر اللغة العربية وحياتها أنها ((بنيت على أصل سحري يجعل شبابها خالدا عليها فلا تهرم، ولا تموت، لأنها أعدت من الأزل فلكا دائرا للنيرين الأرضيين العظيمين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن ثَمَ كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء كأنها آخذة السحر لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع))[٢١].

وعرف فضل اللغة العربية من اطلع عليها وتعلمها وغاص في أسرارها .. لذلك شهدوا بعظمتها كما جاء في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((تعلموا العربيةَ ؛ فإنها تثبت العقل، وتزيد المروءة))[٢٢] وكذلك ما ورد أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري واليه على: ((أن مُر قبلك بتعليم العربية ، فإنها تدل على صواب الكلام، ومرهم برواية الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق)).[٢٣]

ومما جاء في بيان فضل اللسان العربي قول ابن تيمية: ((فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون))[٢٤] وكذلك يقول : ((إن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، ولا يتم الواجب إلا به فهو واجب))[٢٥].

ويشهد ابن قيم الجوزية بفضل العربية ، يقول : ((وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها ورسائلها))[٢٦].. في حين يفضل الثعالبي اللغة العربية فيعدّها خير اللغات والألسنة ، يقول : ((ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فبه أعتقد أن محمدا خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة ؛ إذ هي أداة العلم))[٢٧] .. ويعقد أبو حاتم الرازي فصلا في كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية بعنوان (فضل لغة العرب) ذكر فيه أن لغات البشر كثيرة لا يمكن حصرها وان أفضلها أربع العربية، والعبرانية، والسريانية، والفارسية وأن أفضل هذه الأربع لغة العرب فهي أفصح اللغات، وأكملها، وأتمها، وأعذبها، وأبينها،[٢٨] في حين يبين الفارابي جلالة قدر اللغة العربية فيعدها من كلام أهل الجنة ، يقول: ((هذا اللسان كلام أهل الجنة ، وهو المنزه بين الألسنة من كل نقيصة والمعلى عن كل خسيسة ، والمهذب مما يستهجن أو يستشفع))[٢٩]

واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي اختارها الله – عز وجل – لتحمل رسالته الخاتمة إلى الأرض لما أودع فيها من خصائص عجيبة ، ومميزات فريدة لعل أهمها ما يأتي :

ـ اللغة العربية تتسم بأنها لغة مقدسة لارتباطها بكلام الله تعالى حيث تنص غير آية بعروبته مما يعطي مكانة عظيمة لهذه اللغة عند المسلمين ، فيقوى ارتباطهم وتمسكهم بها ،كذلك فإن[٣٠] ارتباطها بالقرآن الكريم كان سببا في بقائها وانتشارها ، لأنها وسيلة المسلمين في الوصول إلى الكتاب والسنة ومعرفة أسرارهما ودقائقهما ، لذلك رأينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحث على معرفة فقه اللغة العربية وفقه الشريعة عندما كتب إلى أبي موسى الأشعري قائلا : ((أما بعد فتفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية ، وأعربوا القرآن ؛ فإنه عربي)) .

ـ تتميز اللغة العربية بالثراء اللغوي فهي تمتلك وسائل كثيرة تزيد من قدرتها في التواصل والتعبير ، وتعمل على تحقيق وظائفها التي أشار إليها الجاحظ بقوله :((للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيها وإراداتهم فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هَلكَ وأَهلَكَ))[٣١]

ـ تتسم اللغة العربية بالبيان الكامل الذي لا يحصل إلا بها ؛ لذا لم ينزل القرآن الكريم إلا باللغة العربية قال تعالى : ((بلسان عربي مبين))[٣٢] .. وهذا دليل على قصور سائر اللغات الأخرى دونها في البيان ، وقد ذكر السيوطي وجه ذلك قائلاً: ((.. لأن لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسميات بالأسماء المترادفة ، فأين هذا من ذاك ؟ وأين سائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نهية))[٣٣].

ـ ومن خصائص اللغة العربية ارتباطها بالعقيدة الإسلامية ارتباطا وثيقا مما يوجب العلم بأحوالها ومعرفة أسرارها وقوانينها .. وفي ذلك يقول الرازي : ((لما كان المرجع إلى معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم كان العلم بشرعنا على العلم بهذه الأمور))[٣٤] .. كذلك يبين الأسنوي أهمية العلم باللغة العربية ، فيقول : ((لأن علم أصول الفقه إنما هو أدلة الفقه وأدلة الفقه إنما هو الكتاب والسنة وهذان المصدران عربيان فإذا لم يكن الناظر فيهما عالما باللغة العربية وأصولها محيطا بأسرارها وقوانينها تعذر عليه النظر السليم فيهما ، ومن ثَم تعذر استنباط الأحكام الشرعية منها))[٣٥]

ـ ومن الخصائص التي تميزت بها اللغة العربية امتلاكها لمؤهلات وطاقات هائلة بلاغية ونحوية ودلالية وصوتية وصرفية فضلاً عن اعتمادها على جذور متناسقة لا توجد في جميع اللغات كالفعل الماضي والمضارع والأمر الذي لا يوجد له مثيل في اللغات الأخرى، كما تميز اللغة العربية بين المذكر والمؤنث .. ويطلق عليها العرب لقب لغة الضاد ، لأنها الوحيدة بين لغات العالم ، التي تحتوي على حرف الضاد .. وهي بذلك أغنى لغات العالم لتضمنها كل أدوات التعبير في أصولها ، ولامتلاكها ثروة معجمية كبيرة فضلاً عن استيعابها لآدابها .. كما أنها تعد رمزا لغويا لوحدة العالم الإسلامي في جميع البلدان العربية والإسلامية .

ـ وللغة العربية خصائص تركيبية دقيقة كما يقول د. تمام حسان فهذه الخصائص مبان للمعاني ، وللمعاني غايات لها ، فتغرس في نفس العربي إيمانا بعظمة لغته ، وإدراكا لطاقاتها التعبيرية ، وإمكاناتها التصويرية ، وتعرفه بأسرار خلودها وأسباب بقائها وتميزها[٣٦].. وفي موضع آخر يقول : ((ومن أمثلة صور احتباك تركيب السياق في اللغة العربية وكفاءة طرقها التركيبية ما يبدو في الجهاز الصرفي ، وفي التعليق النحوي ، وفي حقل الظواهر الموقعية)) .[٣٧]

المحور الثاني : الهوية المفاهيم والمقومات

إن للهوية الإنسانية بدون شك أهميةً عميقةً وتاريخاً طويلاً ، لذلك سعينا إلى فهمها من خلال المصادر والكتابات التي بحثت مفهوم الهوية .. فهناك مجموعة من المصطلحات والمفاهيم التي عَرفت الهوية فهي في المعجم الوجيز تعني الذات[٣٨]، وفي المعجم الوسيط: تعني حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره[٣٩].

وتعرف الهوية لغةً بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء المفتوحة نسبة مصدرية للفظ (هو) ، والهوية بفتح الهاء البئر البعيدة المهواة، والموضع الذي يهوى وسقط من وقف عليه ، والمرأة التي تزال تهوى[٤٠]، أما اصطلاحا فهي : ((الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة))[٤١].

ولا يخرج مفهوم الهوية عند ابن حزم عن مدلول الشخصية والتشخص ، قال : ((هو إن كل ما لم يكن غير الشيء فهو بعينه، إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر))[٤٢] ، وهذا ما أشار إليه تعريف جميل صليبا للهوية في معرض المقابلة بينها وبين الغيرية بقوله : ((المميز عن الاغيار))[٤٣] .. وبنفس المعنى جاء تحديدها في موسوعة مصطلحات جامع العلوم في اتجاه المقابلة بينها وبين الغيرية : ((هي الحقيقة الجزئية حيث قالوا : إن الحقيقة الجزئية تسمى الهوية بمعنى الوجود الخارجي وقد يراد بها التشخيص وقالوا : إن الهوية مأخوذة من الهو وهي مقابلة الغيرية))[٤٤].

والهوية في المنظور الفلسفي كلمة مولدة مشتقة من ال (هو) لينقلوا بواسطتها إلى العربية كما يقول ـ الفارابي ـ الذي يربط بين الموضوع والمحمول ، ومع ذلك فقد فرضت الهوية نفسها كمصطلح فلسفي يستدل به على كون الشيء هو نفسه .[٤٥]

أما الهوية في المنظور الاجتماعي فتعني تحديد المميزات الشخصية للفرد من خلال مقارنة حالته بالخصائص الاجتماعية العامة[٤٦]، وهي بعبارة أخرى : ((عبارة عن مركب من العناصر المرجعية والمادية والتراثية المصطفاة التي تسمح بتصريف خاص للفاعل الاجتماعي))[٤٧] أو هي ذلك الشيء الذي يُشعر الشخص بالاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه والانتماء إليه[٤٨].

وتعرف الهوية من المنظور الثقافي بأنها التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة[٤٩]، وهي ما يكون به الشيء هو هو ، أي من حيث تشخّصه وتحقّقه في ذاته ، وتمييزه من غيره فهو وعاء الضمير الجمعي لأيّ تكتلٍ بشري ، ومحتوى لهذا الضمير في نفس الآن ، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها[٥٠].

وتتشكل الهوية القومية عند الفرد عندما ينتمي إلى كل أكبر هو أساس الهوية القومية ، فالأمة المثالية تتألف من الناس الذين توجد لديهم خواص عرقية واحدة ، وثقافة واحدة ، ولغة واحدة ، وتقاليد تاريخية واحدة ، ويسكنون في جزء متميز من الكرة الأرضية[٥١].

أما الهوية العربية الإسلامية (الهوية) في الحضارة الإسلامية فمأخوذة من هُوَ هُوَ جوهر الشيء وحقيقته .. إنها كالبصمة للإنسان يتميز بها من غيره[٥٢]، بمعنى آخر هي جوهر وحقيقة وثوابت الأمة العربية التي اصطبغت بالإسلام منذ أن دانت به غالبية هذه الأمة فأصبح هو الهوية المتمثلة لأصالة ثقافتها .. فعاداتها وتقاليدها وأعرافها وآدابها وفنونها وسائر علومها الإنسانية والاجتماعية وعلومها الطبيعية ونظرتها للكون وللذات والآخر وحكمة هذا الوجود وغايته، ومعايير المقبول والمرفوض والحلال والحرام وهي جميعها عناصر لهويتنا.[٥٣]

وتقوم الهوية الحضارية عند كل أمة بما تتميز به من غيرها من الأمم : دينها ، ولغتها ، وقوميتها، وتراثها[٥٤].. وبعبارة ادخل في موضوعنا فإن ((الهوية الحضارية لأمة من الأمم هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية طابعا تتميز به عن الشخصيات القومية الأخرى)).[٥٥]

ويُعرّف أهل التصوف الهوية بأنها :((الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة من الشجرة في الغيب المطلق))[٥٦].. في حين يرى علماء الميتافيزيقا (الغيبيات) بأن الهوية هي جوهر العقل وماهيته .. ويرى علماء المنطق والرياضيات بأنها علاقة بين شيئين تجعل منهما متساويين ، فهي ما يجعل شيئا ما متشابها تماما مع شيء آخر[٥٧].

وتعدّ الهوية جسراً يعبر من خلالها الفرد إلى بيئته الاجتماعية والثقافية وتشعره بالانتماء إلى الجماعة .. وعليه فالقدرة على ثبات الهوية مرتبط بالوظيفة التي تحتلها الجماعة في المنظومة الاجتماعية ونسق العلاقات فيها[٥٨]، من ذلك نستدل على ((تحديد المميزات الشخصية للفرد من خلال مقارنة حالته بالخصائص الاجتماعية العامة))[٥٩].. إلا أن كثيراً من الباحثين يجمع على أن لا وجود لشعب دون هوية لكنهم اختلفوا في الشكل الذي يحدد هذه الهوية بين الشكل الميتافيزيقي الذي يقدم شخصيتها في إطار نماذج مثالية في حين يطرح مقابل ذلك مقاربة سوسيولوجية ترى أن الهوية تتغذى بالتاريخ وتشكل استجابة مرنة تتحول مع تحول الأوضاع الاجتماعية والتاريخية .. وبذلك فهي هوية نسبية تتغير مع حركة التاريخ وانعطافاته[٦٠].

إن المقومات الأساسية التي تتحدد بموجبها الهوية تتمثل في مجموعة من الركائز منها اللغة ، والدين ، والمذهب ، والفكر والعقيدة والعقلية وحديثا أصبحت الأيدلوجية من ضمنها فضلاً عن ما يملكه الفرد والمجتمع من الهوية الاقتصادية

والعلمية والاجتماعية وما يتضمن من الموروثات التاريخية وتفرض عليه جغرافية الشكل والنوع المعين من الهوية[٦١].

إلا أن هناك من يحاول انتزاع الهوية من سمتها الاجتماعية والثقافية فيراها سياسية لها علاقة بالمواطنة حيث الافتراض بأن الهوية تقوم على أساس ثقافي مبني على فكرة التجانس الاجتماعي وهو افتراض غير مُسوّغ ورأي آخر يرى في الحداثة أنها مسؤولة عن الربط بين الهوية الثقافية والسياسية الأمر الذي أدى إلى صراعات اجتماعية في داخل مجتمعاتنا وهذا لا يكون حقيقيا إلا عندما تعبر الهوية السياسية عن الهوية الثقافية التي ينظر إليها على أنها فعل مرتبط بالماضي والمستقبل في حين أن الهوية السياسية فعل يقوم في الغالب على معطيات الحاضر[٦٢].

هذا وتعددت آراء الباحثين حول الهوية بين قيم الأصالة والحداثة ؛ فبعضهم يرى أنها عائق ينبغي إزالته للانضمام إلى مسيرة الحداثة ، في حين يراها آخرون الحصن الدفاعي الذي يحمي الثقافة القومية من وحشية القيم الحديثة التي تعدّ دخيلة على القيم الأصيلة للمجتمع وبين هذا وذاك يوجد من دعا إلى هوية منفتحة متجددة توازن بين الأصيل من القيم والمعاصر منها حسب الضرورة والاحتياج[٦٣].

وصفوة القول مما تقدم :إن هناك دلالات كثيرة لمفهوم الهوية عند اللغويين والفلاسفة ، وأهل الاجتماع ، والقوميين ، ودعاة الحضارة ، والإسلاميين ، وعلماء النفس ، والصوفيين ، وعلماء الغيبيات والمنطق .. وحصروا العوامل التي تتشكل منها الهوية كلا حسب رؤيته ووجهة نظره التي تتمحور حول الحقيقة والذات والماهية والوحدة والاندماج والتشابه والتساوي والانتماء .

المحور الثالث : اللغة والهوية

تمتاز اللغة بأنها أهم وسيلة للتواصل الاجتماعي ، وهدفها الأساس هو التعبير عن الأفكار والرغبات والعواطف في منظومة المجموعة البشرية التي تتكلم بها، ويتم بوساطتها التواصل وتناقل المعلومات والقيم والمبادئ والخبرات والرموز والمعتقدات ..((أي كل عناصر" الثقافة " بمفهومها السوسيو أنثربولوجي العام ، وبما هي رؤية شمولية للعالم تشمل الذات والواقع الطبيعي والاجتماعي))[٦٤]كما تعدّ وسيلة المتكلمين للتعايش المشترك ، وبها يتم توثيق الروابط الجماعية فيما بين المجتمعات الإنسانية ، وهي سبيل التفاعل الحضاري بين السلف والخلف .

وتعدّ اللغة مرآة الأمم وانعكاساً لحضارتها وثقافتها ، وهي في الوقت نفسه مقوم هام من مقومات هوية العرب التي امتازوا بها من غيرهم من الأمم ذات الحضارات والثقافات المختلفة ودليل وعيهم بذاتهم الذي بدأ بالتشكل بوقت ليس بالقصير وقد عبروا عن ذلك في شعرهم ونثرهم التي تفاخروا بها وعدّوها أساس هويتهم وانتمائهم . لذا كان مجتمع العرب المستند في أساسه على الانتماء القبلي والولاء العشائري يركز على اللغة ، ويحاول المحافظة عليها كونها رمز الإبداع والعطاء الذي يندرج ضمن مكون واحد وهوية واحدة يمتاز بها العربي عن هوية الشعوب الأخرى .

فاللغة ترتبط بالهوية ((في كل أشكالها وأبعادها ومستوياتها النفسية والسوسيو ثقافية والحضارية الشاملة. والهوية التي نعني هنا هي التي تفهم، سوسيولوجيًّا، على أنها نسق أو منظومة متكاملة من الخصائص والسمات والمقومات الثقافية والاجتماعية والحضارية المميزة لجماعة أو مجتمع أو حتى عدة مجتمعات، مشكلة بذلك أهم القواسم المشتركة فيها بين الأفراد والجماعات والأجيال والفئات ومجمل العناصر المكونة لتركيبتها الاجتماعية على اختلافها وتعددها. واللغة – في أي مجتمع – هي الواجهة الحاملة والحاضنة للملامح الأساسية لهذه الهوية.))[٦٥]

وعلى هذا فالعلاقة بين اللغة والهوية ((هي علاقة الخاص بالعام، فالهوية أعمُّ من اللغة؛ لأن الهوية لها تجليات عديدة غير "اللغة" إذ إنها ببساطة متناهية ليست سوى تلك القواسم المشتركة أو القدر المتفق عليه بين مجموعة من الناس، ذلك الذي يميزهم ويوحدهم، وليست اللغة وحدها التي تقوم بهذه المهمة))[٦٦] وإن كانت أهم المقومات وأشدها عمقاً وتركيباً ، فاللغة هوية ، لكن الهوية ليست اللغة[٦٧]. فالهوية حصيلة لمجموعة أنساق من العلاقات والدلالات التي تكسب الفرد معنى لقيمته ، ومن الواضح أن الهوية ((مركب بالغ التعقيد

ينمو مع تعزيز ثقافة الفرد ، وتوسيع آفاقهم التاريخية والفكرية والثقافية والإنسانية التي تعزز وعيهم بأمتهم وانتمائهم إليها))[٦٨]

وتلتقي كل من اللغة والهوية بخصائص وسمات منها أنهما خاصيتان إنسانيتان وهما في اختصاصهما بالإنسان تشيران إلى تفرده بالوعي والشعور بالذات والآخر فمحلهما إذن هو العقل ، كما أنهما أوليتان فهما حقيقتان وجدتا مع الإنسان منذ أول وجوده ، فضلا عن ذلك فهما تاريخيتان ، أي تحتاجان إلى الزمن والتاريخ ، لتشكيلهما ، وأخذ أبعادهما .

إن ((اللُّغة والهُوِيَّة هما إذًا وجهان لشيء واحد، بعبارة أخرى: إنَّ الإنسان في جوهره ليس سوى لُغة وهُوِيَّة، اللُّغة فِكرُه ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه الأشياء هي وجهه وحقيقته وهُويته، وشأن الجماعة، أو الأمَّة هو شأن الفرْد، لا فرق بينهما))[٦٩]

فالهوية تتضمن مكونات ثابتة وقابلة للتغيير ، ويعدّ الدين واللغة من الثوابت الراسخة ، إلا أن المؤلم في الواقع العربي المعاصر أن الأمة الواحدة تتنازع فيها الآن هويات مختلفة بعضها (اقليمي) ، وبعضها (طائفي) وبعضها الآخر : (أممي ديني ، أو عولمي اقتصادي) وكأن المبتغى سلخ الهوية حتى تصبح بلا ملامح محددة أو ثوابت تعزز مكانتها ومكانة أفرادها في عالم اليوم .

إن غياب وعي (الأنا) بالخطر يفسح المجال للآخر لفرض عولمته ، وهيمنته بإدراكه مدى اللحمة بين العربية والهوية ، فضلا عن إدراكه أن ساحة الصدام الأخطر تصبح خالية لفرض الهيمنة بغياب أهم مرتكزات الثقافة والحضارة وهما اللغة والدين فيكون الميدان ساحة نصر للآخر وساحة انهزام للأنا الغافلة .

المحور الرابع :العولمة ملمح للنظام العالمي الجديد وخطر على الهوية الإسلامية

تشغل ظاهرة العولمة أذهان المفكرين والمتخصصين بالشؤون السياسية والثقافية والإعلامية والفكرية والاقتصادية وأفكارهم وعنايتهم، كما أنها كانت محل خلاف بينهم في معرفة ماهيتها بوصفها مصطلحًا ومفهومًا فتفاوت فهمهم بحسب فكرهم ومرجعيتهم الإيديولوجية، وقد أثارت العولمة تساؤلات عديدة عن ظاهرة باتت تعصف بجميع نواحي النشاط الإنساني، ولعل أول تساؤل يتبادر إلى الأذهان هو ما مفهوم العولمة وما ملامحها ؟ وما مراحل نشوئها ؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول: إن مفهوم العولمة مفهوم زئبقي ليس له أبعاد أو حدود؛ لأنه شامل لجميع النواحي الإنسانية ؛ لذا فإن ملامح هذا المفهوم ضبابية على الرغم من محاولات كثير من المفكرين والباحثين تمثيله بتعريف يوضح ذلك المفهوم .

فمصطلح العولمة مصطلح مُعرَّب لم يكن وليد البيئة العربية بل كان وافدا عليها ، ولعل تتبع التعريف في المظان اللغوية يقترب من معرفة ماهية اللفظة ،فكلمة العولمة مشتقة من (عَالَمَ) بفتح العين على زنة (فَوْعَلة) ، واشتقاقها من الفعل "عولم" يشير إلى أن الفعل محتاج لفاعل ، بمعنى آخر من يقوم بإعمامها على العالم ، فهي على هذه الحال ترجمة لكلمة (Mondialisation) الفرنسية التي تعني "جعل الشيء على مستوى عالمي"،أما لفظة (Globalization) الانكليزية فتعني "تعميمُ الشيء ، وتوسيع دائرته ، ليشملَ العالم كله"[٧٠].

وقد ترجمت اللفظة الانكليزية (Globalization) بمعنى " الكوكبة " وهي مشتقة من " global" التي تعني الكرة – المقصود الكرة الأرضية –[٧١]، وقد يطلق عليها " الكونية" إلا أن مصطلح العولمة كان أكثر انتشاراً من غيره ، وشاع هذا المصطلح بسرعة فائقة في الكتب وعلى الألسنة إلا أنه كان مفتوح الدلالة ؛ لذا كان المفهوم عائماً ؛ لأن العولمة عملية مستمرة ومتسلسلة تظهر كل يوم بوجه جديد لتكشف عن الوجوه المتعددة للنظام العالمي الجديد.

فالعولمة تتسم بكونها عملية مركبة معقدة ومتشعبة ومتسارعة ومتغيرة ومستمرة وترتبط بالعديد من القضايا والموضوعات التي تشكل أجزاءً تتشكل مع بعضها ؛ لتجسدَ صورة العولمة التي تتغير بعد مدة نتيجة للتطور والتبدل، وفي إطلالة تاريخية عن نشأة العولمة وتاريخ ميلادها نجد أن جذورها لم تكن حديثة العهد فهي ((كظاهرة أو عملية أو

مرحلة أو واقع ..لم تنشأ في الثمانينات أو التسعينيات فقط بل تعود أصولها إلى فترة أقدم من ذلك))[٧٢]. فلم تكن نشأة العولمة محض صدفة بل كان لها أصولها وجذورها التي امتدت، وتسللت إلى الأرض الأم لهوية الفرد وثقافته وكان سببها تراكمياً بدأ بغراس ونما فصار جبلاً كثيف الأشجار متشابكة .

لقد ذهب بعض الباحثين إلى أن العولمة عملية تاريخية قديمة مرت عبر الزمن بمراحل ترجع إلى بداية القرن الخامس عشر زمن النهضة الأوربية ، أما البعض الآخر فذهب إلى أن نشأتها كانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، وارتبطت نشأتها بما أحدثه العلم من تطور في مجال الاتصالات والثورة المعلوماتية التي أتاحت المجال الواسع للتبادل المعرفي والمالي فضلا عن ازدياد النزعة الإنسانية وحقوق الإنسان، ومما ساعد على بلورة مفهوم العولمة وتشكيله بهذه الصياغة العالمية ما ظهر من أحداث ، انهيار سور برلين ، وسقوط الاشتراكية كقوة سياسية ، وتفرد القطب الواحد بالسيطرة ، والتقدم التكنولوجي الهائل الذي اجتاح الأسواق العالمية[٧٣].

بهذا بدأت العولمة بمفهومها المعاصر تدب في مختلف النشاطات الإنسانية وأصبحت واقعاً ملموساً، ولم ((تعد الفروق بين الشعوب فروقاً اقتصادية أو تقنية، أو علمية، أو سياسية، أو عسكرية فحسب، وإنما امتدت إلى ما يسمى (صراع الحضارات) أو (صدام الحضارات) حيناً، و(حوار الحضارات) حيناً آخر، حيث ألفينا أنفسنا في (عولمة الثقافة واللغة والهوية)))[٧٤].

بالعودة إلى العولمة وتأثيرها على" الهوية " نجد أن تأثيراتها في غاية الخطر على الهوية والهوية العربية على وجه الخصوص ؛ ذلك لأن الهوية العربية مرتبطة بالدين والعقيدة فالهوية في ثقافتنا العربية الإسلامية هي التميز عن الغير في النواحي التي لا تتوافق مع المعتقد، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته العربية هوية يشترك فيها المسلم وتعبر عنها اللغة ، فالمسلم وإن كان غير عربي إلا أن لغة صلاته لا تكون إلا العربية ، وهذا مما أدركه أعداء الإسلام من الصليبية والشيوعية والصهيونية التي ترى في استعادة المسلمين لانتمائهم وهويتهم الإسلامية أكبر خطر ، وهي في ذلك تسعى جاهدة للغزو الثقافي ومحاولة شيوع التنصير والاستشراق بذوبان المسلمين المهاجرين في مجتمعاتهم ، لذا كان التركيز على تهشيم جانبي اللغة والعقيدة ، لكونهما عنصرين رئيسين لأي ثقافة أو حضارة .

إن اللغة كانت وما تزال العنصر الفعال ، وأحد أهم مقومات هوية الأمة وقد ((أدركت الأمم على اختلاف أصولها وأقاليمها هذا المعنى الخاص للغة، والدور الخطير الذي تقوم به في حفظ الهوية الذاتية للأمة، ولاسيما في أجواء الواقع الثقافي العالمي المعاصر، الذي يميل نحو الانفتاح الفكري والثقافي واللغوي، ويفرض على الأمم واقعاً حضارياً عالمياً محرجاً، يحمِّل كلَّ أمة مسؤولية المحافظة على هويتها وخصوصيتها، مما دفع الدول– ولاسيما المتقدمة منها– نحو اتخاذ التدابير الكفيلة للمحافظة على شخصيتها المميزة لها، وحماية هويتها الخاصة بها من الذوبان، وقد حظيت اللغات القومية في هذه الدول بالنصيب الأوفر من الاهتمام والرعاية، ولاسيما لغة التربية والتعليم، فقد كانت قرارات الدول المتقدمة حاسمة وقوية في وجوب التعليم باللغة القومية لجميع العلوم، وفي جميع المراحل التعليمية، وبخاصة المراحل الأولى من التعليم؛ فقد أدركوا أن "الاهتمام باللغة الأجنبية شيء والتدريس بها شيء آخر، ففي الأول انفتاح على الثقافة والعلوم، واطلاع على الحضارة الأجنبية، وفي الثاني قهر للغة الأم، وإهانة لحرية الوطن واستقلاله".))[٧٥]

فبقدر الاهتمام باللغة والرعاية لها تثبت اللغة ، ويكتب لها الخلود وعلى العكس من ذلك تتلاشى وتزول أمة ما بزوال لغتها الحاملة لهويتها ، وليس أدلّ على ذلك من دليل سوى اللغة الانكليزية التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية وعدّتها لغة البلد الرسمية الذي كان موطناً للهنود الحمر، بل أنها فرضتها على غيرها من الدول والشعوب في محاولة منها لتدويلها وتطبيق الأساس الأهم في العولمة بنشر اللغة الواحدة على أساس أنها لغة الإبداع والعلم والحضارة والتقدم .

ولعل مما ساعد على نشر اللغة الانكليزية سبق الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية في استعمال وسائل الاتصالات المعلوماتية أو الشبكة العنكبوتية – الانترنت – واستعمال اللغة وتسخيرها لتكون سبيل مُستعمل الوسائل التقنية المعلوماتية الحديثة ، الأمر الذي أدى إلى ضرورة إجادة من يريد الإفادة من ميزات تلك الشبكة للغة الانكليزية ، وهو ما يستدعي الاطلاع على إيحاءات اللغة ومعانيها والتوجه لدراستها لتكون بديلا في الاستعمال عن لغة الفرد الأصلية بدلا من دراسة اللغة الأم ، ومعروف أن اللغة ليست رموزا صوتية فحسب بل أنها تحمل ثقافة وهوية ناطقيها ، وهذا يعني أن تأثيرها ليس ايجابياً من حيث الفائدة العلمية بل يكون سلبياً ،لأنها تحمل ثقافة البلد وعاداته وسلوكه وأنماط معيشته التي تختلف وتتنافر مع مقومات الهوية العربية .

إن الافتتان بالثقافة الغربية والانبهار بالتقنية والتكنولوجيا التي يمتلكها الغرب أدى إلى انسلاخ البعض عن المفاهيم والقيم التي يؤكد عليها الدين الإسلامي ، وأصبح تلقي المفاهيم والقيم الغربية أمراً سائغاً ومقبولاً لديه وإن كانت تصطدم مع مبادئ الشريعة وأحكامها، وهو ما يمثل أخطر التحديات التي تواجهها الأمة ولها نتائج وخيمة تتمثل بتمييع المفاهيم وتذويب القيم وضياع الهوية[٧٦].

من كل ما تقدم يمكن القول : إن العولمة هي الرؤية الاستراتيجية للهيمنة الفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ،أو هي روح الغزو والتمكين لاستلاب الهوية ومسخها الفرد وذاته ولسان حاله بل قلب وبعثرة صورة الهوية الحقيقية للفرد حتى لا يعرف ماهية الصورة الجديدة ولا جذورها التي تؤصلها وتكسبها قيمتها الوجودية .

المحور الخامس :اللغة العربية وتحديات العولمة

تنبع أهمية اللغة العربية من دورها المهم في ربط أواصر الكيان الاجتماعي وهندسة الوعي الثقافي للجماعة الناطقة بها كونها المرآة العاكسة لهوية وفكر الذات، وتواجه اليوم لأنها وعاءٌ للثقافة العربية والحضارة الإسلامية ولغة القرآن الكريم تحديات وأخطاراً تفرضها هيمنة النظام العالمي الجديد الذي يسعى لفرض اللغة الأقوى بحكم القوة السياسية والثقل الاقتصادي والسبق المعلوماتي ، الأمر الذي يجعل من المجتمعات الإنسانية العربية قاصرة عن التصدي لمثل هذه الأخطار وهذه الهجمة التي تهدد المرتكزات الثقافية والحضارية للدول العربية .

وتكمن الخطورة في أن تهديد الثقافة الإسلامية واللغة العربية على وجه الخصوص يقابله قصور في الطرح لإشكاليات اللغة نفسها ومنها على سبيل المثال ازدياد الهوة بين ناطقي العربية وقواعد اللغة كبير ، فكان للمستشرقين قصب السبق في المناداة لاستبدال اللغة الفصيحة باللغة العامية بحجة صعوبة قواعدها مما حدا للمناداة بتيسير تلك القواعد وهو ما أفقد اللغة قدسيتها التي كانت عليها ؛ فتركها أهلُها وراء ظهورهم ، وركضوا وراء زينة اللغة الجديدة لغة المال والثروة التي تحكم قناعات الفرد بالرفاهية الزائفة تلك الرفاهية التي تستوجب تحصيل الثروة أولا وزيادة رأس المال لضمان الترف والغنى المادي والوجودي الذي طغى على الغنى الروحي .

إن اللغة العربية ((تمتلك – بدون شك – من الثراء اللغوي والكفاءة التعبيرية ما يجعلها قادرة على الوقوف في وجه العولمة ودعاتها وبات من المؤكد أن الخوف ليس على اللغة العربية من شبح العولمة بل الخوف على أبناء اللغة العربية الذين انبهروا بالعولمة الزائفة والتي دفعت بهم إلى الانسلاخ من هويتهم والتنكر لثوابت أمتهم واحتقار كل ما هو عربي أصيل . إن هذه الردة – إن صح التعبير – تشكل خطراً على الأمة قبل كل شيء أكثر من خطر العولمة ، ومن هنا يجب علينا أن ننصف لغتنا ونكف عن رميها بالتحجر والتخلف والجمود وكذا اتهامها بأنها سبب من أسباب تخلفنا وتقهقرنا.))[٧٧]

لقد جاء عصر العولمة ((ليزداد حجم الخطورة على اللغة العربية وغيرها من اللغات التي لم تفرض وجودها بعدُ في أسواق الاقتصاد والتجارة العالميين وعالم التكنولوجيا بصفة عامة وتكنولوجيا المعلومات بصفة خاصة ومن المعلوم أن العولمة التي يتحدث عنها الناس خلال العشرين سنة الماضية ليست اقتصاديةً مجردةً، ولكن أخطر جوانبها هو الجانب الثقافي واللغوي))[٧٨]، فمن مظاهرها في التربية والتعليم ازدياد

المدارس التي تدرس اللغة الانكليزية ، وانتشارها ، واعتمادها مناهج غير عربية بعيدة شكلاً ومضموناً عن الثقافة والهوية العربية .

إن اللغة التي يتعلمها الطفل في المراحل العمرية الأولى هي أساس بنائه المعرفي وتعلمه للغة الأم وإتقانها إلى جانب لغة أخرى يسبب تداخلاً لنظامين لغويين في عقله وتفكيره مما يؤثر سلباً في مهاراته في الاستماع والكتابة والقراءة والمحادثة.[٧٩] لقد أصبحت اللغة العربية لغة ثانوية في العديد من الدول الناطقة بالضاد في حين عدّت ((اللغة الانكليزية – لغة العولمة – هي اللغة الشاملة لكل المواد العلمية والأدبية ، فضلاً عن تدريسها كلغة مستقلة وبساعات مكثفة))[٨٠].

لقد بلغت هيمنة اللغة الانكليزية شأواً كبيراً حتى باتت بعض الجامعات تتخذها منهجاً ووسيلة لتدريس بعض التخصصات العلمية الطبيعية والتطبيقية وهو ما أدى إلى خلق ثنائية لغوية علمية[٨١] ، وفي هذا إقصاء وتهميش للغة العربية مع ما في تعلم اللغة الانكليزية من فائدة للشباب إلا أن التأثر السلبي بثقافة أهل تلك اللغة ومصطلحاتها بمعنى آخر التبعية الثقافية وهو مما يدعو للقلق على اللغة الأم ويهددها بالجمود والعزلة، ويعلل الإقبال على الانكليزية بأن اللغة قادرة على مواكبة علوم العصر على العكس من العربية التي تبتعد لصعوبة قواعدها عن مثل تلك المواكبة.

وهذا يعني أن الهيمنة اللغوية هي الأساس والسبيل للهيمنة الثقافية لذا ((ستكون الثقافات الضعيفة – مثل المتواجدة في الأقطار الصغيرة أو لغات الأقليات على وجه الخصوص – أكثر عرضة في المرحلة الأولى للتهديد ، وهذا الأمر معترف به بين المؤسسات الثقافية الدولية وبين المفكرين .. ففي تقرير أصدرته اليونسكو مؤخراً جاء فيه أنه تحت تأثير العولمة الجارفة فإنه بحلول عام ٢٠٢٠ ستمحى ٩٠ % من اللغات الموجودة حالياً والتي تمثل اللغات المحلية لبعض المجتمعات الصغيرة ولغات الأقليات ، فلا مجال للتعليم الحديث إلا باستخدام تكنولوجيات التعليم الحديث ، وباستخدام لغة عالمية (الانجليزية)))[٨٢].

ولعل مما ينبّه عليه في هذا المقام أثر الجانب الاقتصادي لبعض الدول العربية وعلى وجه الخصوص المجتمع الخليجي السلبي على الهوية العربية باستقدامها واستخدامها للعمالة الأجنبية المختلفة الأصول والألسنة للعمل في الأسواق والبيوت ممن لا يجيدون العربية ويتكلمونها بلغة ركيكة ، الأمر الذي يضطر الذين يتعاملون معهم للتكلم بتلك اللغة للتواصل والتفاهم مع خلطهم للغة الانكليزية، ليصبح الكلام متهرئاً ومرقعاً من عدة لغات ، وهو ما يزيد خطر الاحتفاظ بالهوية العربية مع تقادم الزمن[٨٣].

إن مسألة هجنة اللغة تبرز من جانب آخر هو النصوص المترجمة المنقولة من اللغات الأجنبية إلى العربية ، إذ يعود ذلك إلى ثقافة وملكة ودربة المترجم وتمكنه من اللغتين ، الأمر الذي يؤدي أحياناً إلى فهم مغاير للمطلوب من جهة المتلقي وهو ما يلقي بعبء الفهم المجانب للصواب على المترجم لتحريفه المعنى على وفق فكر مختلف في رؤاه وأفكاره عن الثقافة العربية الإسلامية .

الخاتمة

إن العلاقة بين مفهومي اللغة والهوية من جانب ، والعولمة من جانب آخر جدلية ، وذلك نتيجة التحولات الكبيرة في مجال التقنيات والانتشار السريع للمعلومات والمعارف حيث برزت العولمة كظاهرة عالمية مهيمنة من منظور الشمولية الكونية التي أخذت تهدد مقومات الثقافة الأساسية في المجتمعات العربية المتمثلة باللغة والآداب والفكر والتاريخ والعادات والتقاليد لتمتد بعد ذلك إلى أنماط العيش والسلوك .

ومن هذا المنطلق فإن للعولمة تأثيراً خطيراً في عناصر تشكيل التواصل الأساسية (اللغة والهوية) التي يسعى الغرب إلى تهميشها، ومِنْ ثَمَّ انفصام عراها ، وإحلال مشتركات جديدة غربية لا تنتمي إليها .. وهي بذلك تجتاح مكونات الأمة العربية الأساسية بدعوى ما يسمى (بالانفتاح الحضاري) أو (بالقرية الكونية) بغلبة وسيادة القطب الواحد في العالم .

وفي ظل (العولمة) فإن اللغة العربية والهوية العربية الإسلامية تخوض حرب بقاء لمواجهة تحدياتها المتمثلة في الثورة المعلوماتية والانفجار المعرفي والتقدم الهائل في تقنيات المعلومات والاتصالات التي أدت إلى تقارب المسافات وتلاشي الحدود بين الدول والقارات .. وعليه فإن الذهنية العربية والإسلامية مطالبة بالتشدد في نزعة المعارضة والمقاومة لثقافة العولمة التي تسعى إلى تدمير النسيج العربي والإسلامي متمثلاً في اللغة والهوية والمعتقد والعادات والتقاليد وعزله عن تاريخه العريق وتراثه المجيد .

وفيصل القول :إن الأمة العربية الإسلامية اليوم مطالبة أكثر من أي وقت مضى بفضح زيف دعاوى العولمة غير الإنسانية الفوضوية المشبوهة ، والتصدي لها بتعزيز قيمنا الثقافية والأخلاقية ، وحماية هويتنا ولغتنا العربية ،والتمسك بإرثنا الحضاري العربي الإسلامي، ومحاربة الاختراق الثقافي الغربي بكل أشكاله .

الهوامش:

(١) ينظر: كتاب الأفعال : السرقسطي ١/ ٤١٦ -٤٢٣ .

(٢) ينظر :المحكم والمحيط الأعظم في اللغة : ابن سيدة (لغو) ، و أساس البلاغة : الزمخشري (لغو) .

(٣) ينظر :اللغة تدريسها واكتسابها : محمود السيد ١١ .

(٤) الشعراء : ١٩٥ .

(٥) الاحقاف : ١٢ .

(٦) ابراهيم : ٤ .

(٧) النحل: ١٠٣ .

(٨) أساس البلاغة : الزمخشري (لسن).

(٩) ينظر: التوقيف غلى مهمات التعاريف : المناوي ٦٢٢.

(١٠) الخصائص : ابن جني ١ / ٣٣ .

(١١) لسان العرب : ابن منظور ١٣ / ٣ .

(١٢) مجموع فتاوى ابن تيمية : ابن تيمية ٨ / ٣٤٣ .

(١٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ٨٠- ٨١ .

(١٤) الحجر : ٩ .

(١٥) يوسف : ٢ .

(١٦) فصلت : ٣ .

(١٧) الشعراء : ١٩٤ –١٩٥ .

(١٨) الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس ١٦ .

(١٩) م . ن :٥٠ .

(٢٠) تحت راية القرآن : مصطفى صادق الرافعي ١٨ .

(٢١) م . ن: ٢٦ ـ ٣٣ .

(٢٢) إيضاح الوقف والابتداء : أبو بكر الانباري : ١ / ٣٠ .

(٢٣) الوقف والابتداء : أبو بكر الانباري : ١ / ٣٠ .

(٢٤) اقتضاء الصراط المستقيم : ابن تيمية ٢٠٣ .

(٢٥) م . ن : ٢٠٧ .

(٢٦) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن : ابن قيم الجوزية ٧ .

(٢٧) فقه اللغة وسر العربية : الثعالبي ٢١ .

(٢٨) ينظر: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية : أبو حاتم الرازي ١ /٦٠ ـ ٦٦ .

(٢٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي ١ / ١٠٥ .

(٣٠) إيضاح الوقف والابتداء : أبو بكر الانباري ١ / ٣٠ .

(٣١) الحيوان : الجاحظ ١ / ١٥٤ .

(٣٢) الشعراء : ١٩٥ .

(٣٣) المزهر : السيوطي ١ / ٣٢١ .

(٣٤) المحصول في علم أصول اللغة : فخر الدين الرازي ١ / ٢٧٥ .

(٣٥) الكوكب الدري : جمال الدين الأسنوي ٤٥.

(٣٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان ٢٩ .

(٣٧) م . ن : 29

(٣٨) ينظر: المعجم الوجيز : ٦٥٤ .

(٣٩) ينظر: المعجم الوسيط : ٢ / ٩٩٨ .

(٤٠) لسان العرب : ابن منظور مادة (هو) ١٥ : ٣٧١ .

(٤١) التعريفات : الجرجاني ٣٢٠ .

(٤٢) الفصل بين الملل والنحل : ابن حزم ٢ / ١٠٧ .

(٤٣) المعجم الفلسفي : جميل صليبا مادة (هوية) .

(٤٤) موسوعة المصطلحات جامع العلوم (الملقب بدستور العلماء) / الأحمد نكري ٩٦٤.

(٤٥) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية : محمد عابد الجابري وآخرون ١ / ٨٢١ .

(٤٦) ينظر: معجم العلوم الاجتماعية : د. فردريك معتوق ١٩٠ .

(٤٧) الهوية : الكسي ميكشيللي ١٦٩ .

(٤٨) ينظر: التعريفات : الجرجاني ٣٢٠.

(٤٩) ينظر: العولمة وعالم بلا هوية : محمود المنير ١٥ .

(٥٠) ينظر: الهوية الثقافية للمغرب : عباس الجراري ٢٢ .

(٥١) ينظر: النظام العالمي الجديد (الحاضر والمستقبل) : ترجمة نافع أيوب لبس ١٦١ .

(٥٢) ينظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية : محمد عمارة ٦ .

(٥٣) ينظر: المصدر نفسه : ٦ ـ ٧ .

(٥٤) العولمة وعالم بلا هوية : ١٤٦ .

(٥٥) الهوية الحضارية : محمد عمارة ٣٦ .

(٥٦) موسوعة الفلسفة : عبد الرحمن بدوي (الهوية) .

(٥٧) التعريفات : الجرجاني ٢٥٧ .

(٥٨) ينظر: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية : محمد العربي ولد خليفة : ٩٢ .

(٥٩) معجم العلوم الاجتماعية : فردريك معتوق ٢٢٥ .

(٦٠) ينظر: الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة : اسماء بن تركي ٦٣٢ .

(٦١) ينظر: الحداثة وتأثيراتها على الهوية الثقافية في منطقتنا : عماد علي ٤ - ١٠ .

(٦٢) ينظر: الثقافة العربية والعولمة ١١٧ .

(٦٣) ينظر: الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة : اسماء بن تركي ٦٣٨ .

(٦٤) اللغة العربية والهوية والتحديات الحضارية في مجتمعات / د.مصطفى محسن (بحث) مجلة " الكلمة " العدد ٥٨ السنة ١٥/ ٢٠٠٨م

(٦٥) م . ن .

(٦٦) مفهوم اللغة والهوية " اشكاليات المفاهيم وجدل العلاقة " / د.فيصل الحفيان منشور على الموقع الالكتروني http://www.alukah.net

(٦٧) م . ن .

(٦٨) اشكالية بناء الهوية الثقافية / سفيان ميمون (مقال) منشور على الموقع الالكتروني http://taher78.blogspot.com

(٦٩) العلاقة بين اللغة والهوية /د. فيصل الحفيان (مقال) منشور على الموقع الالكتروني http://www.alukah.net

(٧٠) ينظر : العولمة – مفهوم – نشأة- أهداف / دلال اعواج (مقال) / مجلة العلوم الاجتماعية منشور على الرابط الالكتروني www.swmsa.net

(٧١) ينظر : العولمة (تاريخ المصطلح ومفهومه) / عبد المجيد راشد (بحث) منشور على الرابط الالكتروني http://www.dahsha.com

(٧٢) العولمة ما لها وما عليها / د. محمد عبد القادر حاتم ، الهيئة العامة المصرية للكتاب – القاهرة /٢٠٠٥ ، ص ٢٢

(٧٣) ينظر : مفهوم العولمة ونشأتها / مبارك عمر بقنه (مقال) منشور على الرابط الالكتروني http://www.saaid.net

(٧٤) اللغة العربية في عالم متغير / د.هادي نهر لعيبي (بحث) في المؤتمر العلمي الدولي الأول " اللغة العربية وتحديات العصر" ، جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية المجلد ٢ ص ٦٢

(٧٥) مركزية اللغة العربية في الهوية الإسلامية / د. عدنان باحارث (مقال) منشور على الرابط الالكتروني http://almoslim.net

(٧٦) ينظر : مسؤولية علماء الأمة في مواجهة التحديات المعاصرة في ضوء القرآن الكريم / د. يحيى بن محمد حسن زمزمي (بحث) مقدم لمؤتمر " تداعيات انحسار المد الإسلامي وأولويات العمل " ، كلية الشريعة / جامعة جرش الأهلية ، ص ١٠

(٧٧) اللغة العربية وتحديات العولمة / أ.عمر بن طرية ، (بحث) مجلة الأثر ، كلية الآداب واللغات – جامعة قاصدي مرباح / الجزائر العدد السابع لسنة ٢٠٠٨ ، ص ٦٨

(٧٨) وضع اللغة العربية في عصر العولمة وتحدياتها / د.عبد العلي الودغيري (بحث) منشور على موقع مجمع اللغة العربية الأردني على الرابط الالكتروني http://www.majma.org.jo

(٧٩) ينظر : الأخطار التي تهدد اللغة العربية وسبل مواجهتها / فراس حج محمد ، (مقال) منشور في مجلة " عود الند " الثقافية الالكترونية عدد ٦٤/ السنة ٦ ، على الرابط الالكتروني http://www.oudnad.net

(٨٠) العولمة وتأثيرها في لغة الطفل / د. سامي الصلاحات ، (بحث) المؤتمر العلمي الدولي " الطفل بين اللغة والتواصل مع العصر" الدوحة – المركز الثقافي للطفولة ، ص ٦

(٨١) ينظر : العولمة والثقافة اللغوية وتبعاتها للغة العربية / د. احمد عبد السلام (بحث) منشور على موقع مجمع اللغة العربية الأردني على الرابط الالكتروني http://www.majma.org.jo

(٨٢) العولمة ما لها وما عليها / ٥٣٨ – ٥٣٩

(٨٣) ينظر : الهوية العربية في ظل العولمة / د. احمد محمد وهبان ، سلسلة إصدارات الجمعية السعودية للعلوم السياسية ، ص ١٣

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- **أساس البلاغة** : الزمخشري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- **إعجاز القران والبلاغة النبوية** : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،(د. ت).
- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** : احمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

- **إيضاح الوقف والابتداء** : أبو بكر محمد بن القاسم الانباري ،تحقيق :محي الدين عبد الحميد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق ، ١٩٧١ م .
- **تحت راية القران** : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ط٨ ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- **التعريفات** : علي بن محمد الجرجاني ، مكتبة لبنان – بيروت ، ١٩٨٥ .
- **التوقيف على مهمات التعاريف** : محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق: محمد رضوان الداية ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٩٠م.
- **الحيوان** : الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ مطبعة الحلبي، القاهرة، (د . ت) .
- **الخصائص** : ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ القاهرة ، ١٩٨٦ م .
- **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية** : أبو حاتم الرازي احمد بن حمدان ، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** : أبو الحسن احمد بن فارس ، تحقيق أحمد صقر ، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- **العولمة ما لها وما عليها** / د. محمد عبد القادر حاتم ، الهيئة العامة المصرية للكتاب – القاهرة /٢٠٠٥
- **العولمة وعالم بلا هوية** : محمود المنير ، دار الكلمة ، المنصورة ، ٢٠٠٠ م .
- **الفصل بين الملل والنحل** : ابن حزم الظاهري ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، (د. ت).
- **فقه اللغة وسر العربية** : أبو منصور الثعالبي ، حققه ورتبه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة (د.ت).
- **الفوائد المشوق إلى علوم القران وعلم البيان** : ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت).
- **كتاب الأفعال** : السرقسطي ، إعداد حسين محمد شرف ، مراجعة محمد مهدي علام، مجمع اللغة العربية ط٣، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **الكوكب الدري** : جمال الدين الاسنوي الشافعي ، تحقيق : محمد حسن عواد ، دار عمار عَمّان ، ١٤٠٥ هـ .
- **لسان العرب** : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) .
- **اللغة تدريسها واكتسابها** : محمود السيد ، دار الفيصل الثقافية – الرياض ، ١٤٠٣ هـ .
- **اللغة العربية معناها ومبناها** : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٣٢١ هـ .
- **مجموع الفتاوى** : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : أنور الباز وعامر الجزار ، ط ٣ دار الوفاء ، ٢٠٠٥ م .
- **المحصول في علم أصول الفقه** : فخر الدين الرازي ، تحقيق طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.
- **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة** : ابن سيدة ، تحقيق مجموعة من المحققين ، معهد المخطوطات العربية القاهرة، ٢٠٠٢م
- **مخاطر العولمة على الهوية العربية الثقافية** : محمد عمارة ، مطبعة نهضة مصر ، ١٩٩٩ م .
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** : جلال الدين السيوطي ، تحقيق احمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة السعادة ط١، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ .
- **معجم العلوم الاجتماعية** : د. فردريك معتوق ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
- **المعجم الفلسفي** : جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ط١ ، بيروت ، ١٩٩٤م
- **المعجم الوجيز** : مصطفى حجازي وآخرون ، مجمع اللغة العربية – القاهرة ٢٠٠٠م .
- **المعجم الوسيط** : ابراهيم مدكور وآخرون مجمع اللغة العربية – القاهرة ، ١٩٧٢م .
- **موسوعة مصطلحات جامع العلوم (الملقب بدستور العلماء)** : الأحمد نكري ، ترجمة عبد الله الخالدي ، تحقيق د. علي دحروج ، مكتبة لبنان، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- **موسوعة الفلسفة** : عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، ١٩٨٤م .
- **الموسوعة الفلسفية العربية** :محمد عابد الجابري وآخرون (الاصطلاحات والمفاهيم ، مصطلح الهوية) معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦ م.
- **النظام العالمي الجديد (الحاضر والمستقبل)** : ترجمة نافع أيوب لبس ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠م
- **الهوية** : اليكسي ميكشيللي ، دار الوسيم ، دمشق ، ١٩٩٣ م .
- **الهوية الثقافية للمغرب** : عباس الجراري ،كتاب العلم ط١– السلسلة الجديدة ، ١٩٨٨ م .
- **الهوية الحضارية** : محمد عمارة ، مجلة الهلال دار الهلال – القاهرة العدد (٢) ، ١٩٩٧م .

- **الهوية العربية في ظل العولمة** / د. احمد محمد وهبان ، سلسلة اصدارات الجمعية السعودية للعلوم السياسية رقم (١) ، ٢٠٠١ م.

البحوث والمقالات

- الأخطار التي تهدد اللغة العربية وسبل مواجهتها ، فراس حج محمد ، (مقال) منشور في مجلة " عود الند " الثقافية الالكترونية عدد ٦٤/ السنة ٦ ، على الرابط الالكتروني http://www.oudnad.net
- إشكالية بناء الهوية الثقافية، سفيان ميمون (مقال) منشور على الموقع الالكتروني http://taher78.blogspot.com
- العلاقة بين اللغة والهوية ، د. فيصل الحفيان (مقال) منشور على الموقع الالكتروني http://www.alukah.net
- العولمة (تاريخ المصطلح ومفهومه)، عبد المجيد راشد (بحث) منشور على الرابط الالكتروني http://www.dahsha.com
- العولمة – مفهوم – نشأة- أهداف، دلال اعواج (مقال) / مجلة العلوم الاجتماعية منشور على الرابط الالكتروني www.swmsa.net
- العولمة وتأثيرها في لغة الطفل ، د. سامي الصلاحات ، (بحث) المؤتمر العلمي الدولي " الطفل بين اللغة والتواصل مع العصر" الدوحة – المركز الثقافي للطفولة .
- العولمة والثقافة اللغوية وتبعاتها للغة العربية ، د. احمد عبد السلام (بحث) منشور على موقع مجمع اللغة العربية الأردني على الرابط الالكتروني http://www.majma.org.jo
- اللغة العربية في عالم متغير ، د.هادي نهر لعيبي (بحث) في المؤتمر العلمي الدولي الأول " اللغة العربية وتحديات العصر" ، جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية
- اللغة العربية وتحديات العولمة ، أ.عمر بن طرية ، (بحث) مجلة الأثر ، كلية الآداب واللغات – جامعة قاصدي مرباح / الجزائر العدد السابع لسنة ٢٠٠٨م
- اللغة العربية والهوية والتحديات الحضارية في مجتمعات ، د.مصطفى محسن (بحث) مجلة " الكلمة " العدد ٥٨ السنة ١٥/ ٢٠٠٨ منشور على الرابط الالكتروني http://www.kalema.net
- مركزية اللغة العربية في الهوية الإسلامية ، د. عدنان باحارث (مقال) منشور على الرابط الالكتروني http://almoslim.net
- مسؤولية علماء الأمة في مواجهة التحديات المعاصرة في ضوء القرآن الكريم ، د. يحيى بن محمد حسن زمزمي (بحث) مقدم لمؤتمر " تداعيات انحسار المد الإسلامي وأولويات العمل " ، كلية الشريعة / جامعة جرش الأهلية
- مفهوم العولمة ونشأتها ، مبارك عمر بقنه (مقال) منشور على الرابط الالكتروني http://www.saaid.net
- مفهوم اللغة والهوية " إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقة " ، د.فيصل الحفيان منشور على الموقع الالكتروني http://www.alukah.net
- وضع اللغة العربية في عصر العولمة وتحدياتها ، د.عبد العلي الودغيري (بحث) منشور على موقع مجمع اللغة العربية الأردني على الرابط الالكتروني http://www.majma.org.jo